القسمُ الأوَّل

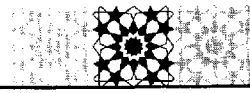

المدخل

إلى عالَم الكتاب والمعايير الأخلاقية

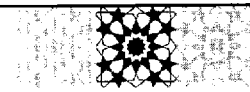

المدخل

١ ـ أهمية الكتاب في حياة الأمم:

يأخذ الكتابُ مكانةً مرموقةً عند الأمم؛ نَظَراً لأهميته، ومكانته الرائدة في نشر العلم، وحفظ المعرفة، فقال الجاحظ مُظْهِراً محاسنَ الكتاب، ومُبيِّناً ميِّزاته التي لا تُعدُّ ولا تُحصى: «نِعْمَ الجليسُ والعُدَّة، ونِعْم العِشْرة والنزهة، ونِعْم المعرفةُ ببلاد الغربة. والكتابُ وعاءٌ مُلِئ علماً، وظرف حُشِي ظرفاً، وإناءٌ شُحن مزاحاً وجِدّاً»[1].

لذا بادر العلماءُ منذ القِدَم إلى الكتابة، وتفريغ معلوماتهم بين دفَّتي المصنفات، وبذا حفظوا العلوم والآداب والمعارف، وسارع الكثيرون إلى حيازة الكتب، وجَمْعها في خزائن، صَوْناً للعلم من الضياع، في حركة مستمرة عبر التاريخ.

---

(١) الحيوان، للجاحظ، (١/ ٣٨).

وهذا وغيره دفع (ويل ديورانت) إلى القول: «لم يبلغ الشغفُ باقتناء الكتب في بلدٍ من بلاد العالم ما بلغه في بلاد الإسلام، في القرون: الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر»[١].

إنَّ عشقَ الكلمة عنوانُ الحضارة العربية، والاهتمام بالكتب سِمَةٌ شعبية، وعلامة مميزة لشعب أحبَّ العلم، وأدرك فَضْلَه، على كُلِّ المستويات، وما ذاك إلا دليلٌ على مكانة الكتاب، ودليلٌ ساطعٌ على الحضارة التي سَمَتْ في آفاق الحياة[٢].

ومن أجمل ما قرأتُ أن الشاعر محمود أبو الوفا أحبَّ الكتاب كثيراً، حتى إنه رآه من الحسنات التي يمكنُ أن يتقرَّب بها إلى الله تعالى يوم القيامة، فقال:

إذا ضَمَّ الثرى جسدي وراحوا
وخلّوني رهيناً في الترابِ
وحيداً من أحبَّائي وأَهْلي
وممن قد عرفتُ من الصِّحاب

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت، (١٣/ ١٧١).
(٢) شمس العرب تسطع على الغرب، لزيغريد هونكه، (٣٨٥).

فـــإنـــي ســـوف ألـــقـــى اللهَ ربِّـــي

بـقـلـبـي ثـم حُـبِّـي لـلـكـتـاب[١]

٢ ــ نشر الكتاب وارتباطه بالمعايير الأخلاقية:

إن مهمة الناشر الأولى هي: خدمةُ العلم، وإشاعته بين الناس، ونشر الفضيلة، ورَفْع مستوى التفكير، وتيسير المعرفة بين يدي طلاب العلم، فتلك رسالةُ الناشر، ودوره في رَفْع الحالة الثقافية في الأمة، وتعميقها، وتوسيع أبعادها، إضافةً إلى حُسْن النية، وسلامة الطَّوِيَّة، وابتغاء الأجر الأخرويّ.

فصنعةُ النشر عظيمةٌ، ومكانتها متميزة، بل تأتي في أعلى سُلَّم الرُّقي الاجتماعي، قال ناصيف اليازجي:

وأَفْـضَـلُ مـا اشـتـغـلـتَ بـه كـتـابٌ

جـلـيـلٌ نَـفْـعُـهُ حُـلْـوُ الـمَـذاقِ

هـنـاكَ الـمَـجْـدُ يـنـهـضُ مِـنْ خُـمُـولٍ

بـصـاحـبِـه إلـى أعـلـى الـطِّـبـاقِ

---

(١) محمود أبو الوفا، دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه، (ص ٢٦٢).

ويُنْشِي الذِّكْرَ بين الناسِ حتَّى
يقومَ به على قَدَمٍ وساقِ[١]

ويكفي الناشر فخراً أنه يتعاملُ مع النُّخْبة المثقفة في الأمة، يجلس معهم، يناقشهم، يحاورهم، يسمع منهم، يَطَّلِعُ من خلال مؤلفاتهم وثقافاتهم على مختلف العلوم والآداب، فيفيد من ذلك فائدةً جُلَّى.

وكم هو راقٍ ذلك الناشر الذي يقرأ المصنَّفات التي تُقدَّم إليه ليطبعها، فيطَّلع عليها كلمةً كلمةً، وفي حال ضِيْق وقته، أو عدم تمكنه من تقييم كتابٍ ما؛ لعدم اضطلاعه باختصاص الكتاب المقدَّم إليه، والمراد تقييمه، وعندها يكون لديه لجنةٌ استشارية، متنوعة الاختصاصات، ذات مصداقية، فيعرضُ عليها تلك المؤلفات، ويقرأ التقاريرَ المكتوبة حول كل كتاب، أو يعرض الكتاب على مستشار يثق بأمانته وعلمه، في كلِّ فَنٍّ من الفنون والموضوعات التي ينشر فيها، فيقيّم له الكتاب إنْ لم تكن إمكاناته تسمح بتشكيل لجنة استشارية في داره الناشرة.

إنَّ ارتباطَ نَشْر الكتاب بالمعايير الأخلاقية؛ أمرٌ ضروريٌّ للغاية، لايمكنُ الاستغناءُ عنه بحالٍ من الأحوال.

---

(١) ديوان ناصيف اليازجي، (ص ٢٤٥).

ومن هنا تزدادُ الأعباءُ الملقاةُ على عاتق الناشر، **فهو يحترمُ تعدُّد الآراء ووجهات النظر**؛ لأن احترامَ الفكر الإنساني يأتي في الدَّرجة الأولى.

وهذا ما دعا (سعيد فياض) ليؤكِّد على بروز صوت العقل من خلال الكتاب، دون غيره من الأصوات النَّشاز؛ يقول:

ففي الكتابِ العقلُ مُخْضَوْضِلٌ
تُبْصِرُ فيه ماتبدَّى وغابْ
صوتُ النُّهى في صَمْتِهِ ناطِقٌ
وفي حديثِ النَّاسِ ظُفْرٌ ونابْ[1]

وصوَّر (عامر البحيري) العالِمَ في صُحْبته مع الكتاب، وكيفية تعامله معه، ودعوته لنشر الكتب المفيدة، ذات المغزى والمعنى، بعيداً عن الضَّلالات والتّرهات. يقول:

جَلَسَ العالِمُ في منزله
وعن الباطلِ واللغو اعتزلْ
يطلبُ الكتبَ ويُعْلي قَدْرَها
ما له من صُحْبةِ العمرِ مَلَلْ

---

(١) هتاف الوجدان، سعيد فياض، (ص ٣٢٣).

يُـنْـفِـقُ الـمـالَ لـكـي يـبـتـاعـهـا
لايُـبـالـي بِـغـذاهـا مَـنْ أَكَـلْ
كـلَّ يـومٍ مـنـه شَـطْـرٌ صـالـحٌ
لـقـراءاتٍ ودروسٍ وشُـغـلْ
صَـحْـبُـهُ الأَدْنَـوْنَ هـم أصـحـابُـهـا
سـادةُ الـرأي وأربـاب الـنِّـحَـلْ
الـغـزالـيُّ وابـنُ رشـدٍ عـنـده
أرشـد الـحُـلْـم لـصـاحٍ مـا غـفـلْ
وسـمـاءُ الـعـبـقَـريـاتِ لـه
حـيـن يـرضـى فـكـرة خـيـرُ نُـزُلْ
هـذه الـكـتـبُ غَـدَتْ أبـنـاءَهُ
فـهـو مـنـهـا فـي سُـرُورٍ وجَـذلْ
انـشـروهـا تـنـشـروا أفـكـارَهُ
وتُـطـيـلـوا مـنـه لـلـدَّهـرِ الأَجَـلْ[1]

٣ ــ الدور الحقيقي للناشر:

مهما اختلف الناس في تحديد دور الناشر، بين إيجابيات

(١) ديوان عامر البحيري، (ص ٣١٠).

سادتْ أحبُّوها، وسلبيات حادتْ مَقَتُوها، إلا أن دور **الناشر يبقى راعياً للكتاب، حافظاً لروح الثقافة، فهو العقليةُ التي تُخطِّط لنشر الكتاب، وتُنظمُ المراحلَ لإصداره**، وتأخذ بزمام المبادرة، بل المغامرة للقيام بعملية طباعة الكتاب ونشره؛ في زمنٍ حَرُون، يتّجه فيه كثيرٌ من أصحاب المال إلى امتهان أعمال صناعية، أو خَدَميَّة، تدرُّ الربحَ الوفير، وتجعل العائداتِ تتضاعفُ كثيراً كلَّ يوم، بل أحياناً كلَّ ساعةٍ وساعة.

فالناشرُ هو همزةُ الوصلِ الأساسية بين المؤلف والقارئ... يستلمُ الكتاب، ويهيِّئه للتَّقديم إلى المطبعة، ثم إخراجه بأفضل شكلٍ وحلّة، لإيصاله إلى القارئ، من خلال دورةٍ كبرى تتضافر فيها الجهودُ، وتكثر الهموم.

ويمكنُ أن نُدْرِكَ الدَّورَ الحقيقيَّ للناشر؛ من خلال النقاط التالية:

أولاً: الناشرُ هو الشريكُ الحقيقيُّ لمن صَنَعَ أفكار الكتاب، ونظَّمها، وكتبها بأسلوبه، وذَوْب روحه، إلا أنَّ الناشر هو الذي يطبعُ الكتاب، ويجتهدُ كي يُسوِّقه، ويُحيل الكلمةَ المكتوبة إلى مقروءةٍ لكثير من الناس. وهذه مهمةٌ يُشْكَرُ عليها؛ لأن المالَ شقيقُ الروح، والناشرُ يقدِّمُ ماله خدمةً للمعرفة، ودَعْماً لثقافة الأمة، وتخطيطاً لبرامج المعرفة، عَبْر مشروعِ إنتاج الكتاب.

ثانياً: الناشر هو المشجِّع الأول لحركة الإبداع الفكري، فهو الذي يتحسَّس همومَ القُرَّاء وحاجاتهم؛ من خلال تردُّدهم على المكتبات، وطلبهم لموضوعاتٍ يرونها مهمة، فينقل هذا الأمرَ إلى المؤلِّفين ليعالجوه، ويكتبوا فيه، أو من خلال معارض الكتب؛ التي تشكِّل وسيطاً بين الناشر والمؤلف والقارئ.

وأحياناً يُطْلَبُ من عددٍ من المؤلفين الاشتراك بكتابةِ سلسلة فكرية، فتتضافر الجهود، وتتساند الأفكار؛ لتنسيقِ جوانب العمل، ووَضْع خُطَّةٍ مدروسة، يأخذُها كلُّ المؤلِّفين بعين الاعتبار.

ثالثاً: العمل على إخراج الكتاب وَفْق مواصفات معينة، كالإشراف على تصحيح الكتاب، ودَفْعه إلى المطبعة، ثم التجليد[١]. وقبل هذا يُعِدُّ النَّاشرُ خطةً لخطوات الإنتاج، فبمجرد إبرام عَقْد الاتفاق مع المؤلف، يدرسُ النَّاشرُ المشروعَ من كُلِّ جوانبه الطباعية؛ لضمانِ تكامل العمل، وتجنُّب الكثيرِ من المعوقات خلال مسيرة الإنتاج[٢].

---

(١) في العالم المتقدِّم لكل صنف من الكتب مواصفات خاصة به من حيث: القياس، والورق، والحبر، وحجم الحرف، والفهارس، والتجليد، فيا حبذا لو نُقلت هذه الخبرة إلى بلادنا.

(٢) الكتاب تحريره ونشره، لموريس ميخائيل، (ص ٨٩).

وكم يُعجبني ذاك الناشرُ الذي يُتابع عملهُ مع المؤلف، ويرفده بالملاحظات، كما يتابع خطةَ تنفيذ الطباعة، وتحديد المواصفات اللازمة، ومتابعة خطوات الطباعة، وزيارة المطبعة، والاستعانة بمصحِّحين محترفين؛ لإخراج الكتاب بأبهى حُلَّة، والسَّخاء على تصميم غلاف الكتاب، وتنفيذه، وجَعْله مُعبِّراً عن المضمون والمحتوى.

وهنا ينبغي التمييز بين الناشر الذي لديه فريق عمل متكامل، وبين الناشر الذي يعمل ويتابع كل شيء بنفسه، فالناشر لا يجب أن يتدخل في اختيار خطوط عنوان الكتاب، ولا الإخراج؛ لأن من المفترض أن يكون في الدار الناشرة قسم فني مُؤهَّل، يلتزم المعايير، ويكون اطلاع مدير الدار قبل أن يُدفع العمل للطباعة؛ كتحصيل حاصل لا أكثر.

إننا حين نقول: (دار نشر) يعني ذلك: مؤسسة كخلية النحل، لكل فردٍ فيها عمل واختصاص؛ لا يتدخل في عمل غيره؛ لذلك لا يجب أن يحمل الناشر معه مُسوَّدات الكتاب إلى بيته؛ ليراجعها؛ إلا إذا كانت الدار تقوم على رجل أو رجلين.

ومع ذلك فكم أرى ذاك الناشر جديراً بالاحترام؛ حين يجتهد ويتعاون مع أهل الخبرة والاختصاص؛ في مراجعة التجارب النهائية قبل دفْعها للطباعة.

وحبَّذا لو قدَّم للكتابِ مُؤلِّفٌ، أو عالمٌ مرموقٌ، خبيرٌ باختصاص الكتاب، فيعطي هذا التقديم ثِقةً أكبر بالكتاب، وهكذا تتحقق أركانُ العملِ النَّاجح.

إنَّ اهتمامَ الناشر بالكتاب يُعبِّر عن يقظة فكرية، والتزام بالمعايير الأخلاقية، لأن الكلمة يجبُ أن تُحْتَرم، ومن احترامها: الاهتمام بها، والإعراض عَمَّا لا يليق، ولا يخدمُ فكراً، ولا يصحِّح مسيرةَ أمة. قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

٤ ـ هموم الناشر:

كثيرةٌ هي الهمومُ التي يُعاني منها النَّاشر ـ لا سيما في الوطن العربي ـ، فأمامه أكثر من مسألة، كلُّ واحدةٍ تحتاجُ إلى إرادة صُلْبة، وهمَّةٍ عالية، وعزمٍ لا يلين، وصبر لا ينفد، ومن تلك المسائل الملحّة:

أ ـ عدم اهتمام القُرَّاء بالكتاب الاهتمام الذي يستحقُّه.

ب ـ افتقاد الكتاب للدعاية، والتعريف به من جهة وسائل الإعلام.

ج ـ عزوف الدوائر العلمية عن التَّزوُّد بالكتب الجديدة، واكتفاؤها بما يُهْدَى إليها.

د ـ التكلفة الباهظة للمعارض الموسمية من قِبَل المنظِّمين المشرفين عليها.

هـ ـ افتقار السوق إلى الموظف واليد العاملة المؤهلة، وعدم وجود شركات توزيع، مما يحمِّل الناشر أعباء التوزيع، الذي يحتاج إلى كوادر متخصصة، ورؤية مبدعة.

و ـ عدمُ وجود خُططٍ على مستوى الأقطار، ثم على مستوى الأمة؛ لنشر الوعي بأهمية الكتاب، والقراءة.

ز ـ اقتصار المدارس والجامعات على الكتب المنهجية؛ التي تطبعها وزارات التعليم.

ح ـ التَّزوير، فَعَدَمُ رواج سوق الكتاب مشكلة، ورواجه بشكل جيد مشكلة أكبر؛ لأن الكتاب سيصبح مُستباحاً من قِبَل المزوِّرين.

ومن هنا يسعى الناشر الناجح إلى[1]:

١ ـ **العمل الدَّؤوب على تنمية المعارف**، والتَّخصص، فقد أصبحتْ فكرةُ الناشر الشمولي قديمة، ولها الكثيرُ من المساوئ.

٢ ـ **اختيار أحسن السُّبُل، وأفضل الطرق لعرض**

(١) هموم ناشر عربي، لعدنان سالم، (ص ١٣).

المعلومات، من خلال المصنَّفات التي يطبعها، ويُنفق عليها بسخاء، ويبذل الجهد الكبير.

٣ ـ **إخراج الكتب بشكل لائق**، ومظهر رائع، مع تتبع الأخطاء، مع الاهتمام بما كُتِبَ على الغلاف الخارجي، فيجعل منه لوحةً فنيّةً؛ تُعبِّر عن مضمون الكتاب.

٤ ـ **تيسير الكتاب ليصلَ إلى أكبر شريحةٍ اجتماعية**، بسعرٍ مقبول، وطريقةٍ لبقة.

٥ ـ **مراسلة الجامعات، والمكتبات العامة**، والمؤسسات العلمية، للتعريف بإصداراته الجديدة.

٦ ـ **المشاركة في المعارض، والمنتديات الثقافية**، والمحاضرات؛ للتعريف بالكتاب الجديد.

٧ ـ **تقديم نُسَخ الهدايا لمراكز الأبحاث والجامعات**؛ بهدف الترويج للكتاب، وتوضيح مضمونه؛ لِيُصار إلى جعله كتاباً مُقرَّراً، أو مرجعاً.

٨ ـ **التحالفات مع الناشرين** على مستوى القطر، والأمة، والعالم.

وهذا وغيره يجعل الأعمالَ كثيرة، والهمومَ متعددة؛ مما يتطلَّب توزيعَ طاقات الناشر هنا وهناك؛ لتغطية هذا الجانب أو

ذاك؛ وهذا يجعلُ مهنة النَّشْر عِبْئاً على صاحبها، فتراهُ ينوءُ بهموم مختلفة؛ مما يُوسِّع الشُّقَّة بينه وبين النَّاشر الغربيِّ؛ الذي يخدمُ الوعيَ الثقافي للأمة بيسرٍ وسهولة لا تُضاهى، على عكس الناشر العربي؛ الذي يفتقرُ إلى المناخ المساعدِ لتطوير مهنة النشر، والإبداع فيها، وإحداث التميز المطلوب؛ بسببٍ من الهموم الثقيلة التي تطارده ليل نهاره بوطأتها، وثِقَلها، وتعدُّدها.

إلا أن الناشر الخليجي ـ مثلاً ـ ينال الدعم والعناية اللازمة من الجهات التي تهتم بالكتاب، إذ يكفي أن تشتري المكتبات العامة والوزارات منه، فيبيع الطبعة الأولى، ولذلك تكون أسعار الكتب الخليجية مرتفعة الثمن لتحصيل أكبر ربح ممكن من الطبعة الأولى، بينما أصبح الناشر أو الموزع الخليجي يعرف كلفة طباعة الكتاب فيشتريه من الناشر السوري أو اللبناني ـ مثلاً ـ بإضافة هامش ربح بسيط على الكلفة غير الحقيقية.

الباب الأول

المعايير الأخلاقية والقيم النبيلة التي تُزيِّن الناشر

الناشرُ الناجحُ مخلصٌ في عمله، مُتَحلٍّ بمكارم الأخلاق الفاضلة، وجميل الشمائل، وحميد الصفات، ومن ذلك:

١ ـ الإخلاص للصنعة ٢ ـ الأمانة ٣ ـ التحلي بروح المنافسة الشَّريفة

٤ ـ التَّواضع ٥ ـ الوفاء بالعهد ٦ ـ عدم الحقد

٧ ـ الصِّدق ٨ ـ العِفَّة ٩ ـ العلم

١٠ ـ الحلم ١١ ـ البعد عن الحسد ١٢ ـ الصَّبر

١٣ ـ الحياء ١٤ ـ التَّفاؤل ١٥ ـ الجود

١٦ ـ الالتزام بالعقود ١٧ ـ الإنصاف ١٨ ـ القناعة بالرِّبح المعقول

١٩ ـ النُّصْح ٢٠ ـ طلاقة الوجه

كلمة لا بُدَّ منها:

ثمَّةَ مقاييس أخلاقية، ومسائل حَسَنة، يتحلَّى بها الناشرُ الناجح في إطار نفسيته، وسلوكه، وتعامله مع المحيط الذي يحيا فيه، ولا فَضْل لمقياس أو معيار على آخر، فلا بُدَّ من إدراك هذه المعايير مجتمعة، والتَّفاعل معها تفاعلاً عميقاً؛ ليكون النَّاشرُ على أفضل حالٍ، ويتحرَّى ـ ما استطاع ـ الالتزام بالجانب الأخلاقي، فهو الأساس في التعامل.

ومن تلك المعايير الأخلاقية، والقيم النبيلة:

١ ــ الإخلاص للصنعة

لكلِّ صَنْعةٍ معاييرُ دقيقةٌ، يُشترط أن يلتزمَ بها كلُّ صاحب حرفةٍ وصنعة، وصناعةُ الكتابِ ينبغي أن تكون في مقدمة تلك الحِرَف؛ التي يلتزم المشتغلون بها بالمعايير ومتطلبات الصنعة.

ومن تلك المعايير والمتطلبات: حُسْنُ اختيار الكتاب، ثم العناية به إخراجاً، وتصميماً، وتصحيحاً، وخدمة، والاهتمام به شكلاً ومضموناً، ثم إعطاؤه حقّه من الخدمة والتعريف والعَرْض، وعدم امتهانه، والترفع به عن أن يكون كأيِّ سلعة استهلاكية.

الناشرُ النَّاجحُ هو المخلص في عمله، فمن أخلص نِيَّتَهُ وعمله وسلوكه؛ لابُدَّ أن يلقى الخير، ويرى بأمِّ عينيه النجاحَ

المطَّرِدَ في كل يوم، والاستقرار في صنعته، والرِّبح الوفير؛ لأنَّ تصحيح النية يعني تقويم اعوجاجَ مساراتِ حياة الإنسان، والالتزام بقيم الفضيلة، والأخذ بضوابط الأخلاق.

والناسُ يحبُّون الإنسانَ الخَلُوقَ، ويسعون للتعامل معه، ويثقون به، وبعمله، ونتاجه، فيتسع مجالُ العمل، ويمتدُّ نشاطه، وتزدهرُ حياته المهنية بما يحبُّ ويرضى.

والامثلةُ كثيرة، نراها ماثلةً أمامنا، وهي تتنامى يوماً بعد يوم بفضل اللهِ تعالى، وحُسْن توفيقه.

٢ ــ الأمانة

الناشر الناجح أمينٌ على الكلمة التي ينشرها في الكتب، فلا ينشر إلا الفضيلة والخير، فقد استأمنه الناس على عقولهم، وعقول أبنائهم وبناتهم، كذلك فإنَّ الناشر أمينٌ على المادة التي يُقدِّمها المؤلف له، فلا يغيِّر ولا يُبدِّل إلا بمشورته.

وهو أيضاً **أمينٌ على جودة تصنيع الكتاب**، وتهيئة أفضل المواد له، والاهتمام بتصحيحه، حتى لا يقعَ أيُّ خطأ، لا سيما إذا كان المؤلف بعيداً، أو مسافراً، ويصعب إرسال الكتاب إليه؛ لئلا تطول مدة التصحيح. وإنْ كُنَّا نؤكد على ضرورة أن يقرأ

المؤلف التجربة الأخيرة ـ على الأقل ـ قبل دَفْع الكتاب إلى الطبع.

ولا يتعارض مع الأمانة: المشاركة في دراسة منهج الكتاب وإغنائه بالأفكار التي تزيد في قيمة الكتاب، فلا يغيب عن البال أن الكتاب في نهاية المطاف هو عمل جماعي يعبّر عن مؤلفه، كما يعبر عن ناشره سواء بسواء.

ومن الأمانة أن يُعبِّر العنوانُ، وتصميم الغلاف؛ على مضمون الكتاب، فلا يشتري القارئ عنواناً جَذَّاباً، ثم يُفاجَأ بمحتوى غَثّ، ليس له علاقة بما زخر به الغلافُ من عناية.

والناشر **أمينٌ على تنفيذ بنود العقد مع المؤلف**، قال تعالى: ﴿أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] ولا يقبلُ على نفسه أن يلتزمَ بعملٍ دون عقد، تُحدَّد فيه المسؤوليات؛ عملاً بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

٣ ــ التحلِّي بروح المنافسة الشَّريفة

الناشر الناجح يتحلَّى بروح المنافسة الشَّريفة؛ فيسعى لاستقطاب أهل العلم الثقات، ويُخرِج كُتُبه تحملُ بَصْمةً جديدة، وفكرةً مفيدة، وعَرْضاً متألِّقاً، وغلافاً يجذبُ الأنظار.

إن التنافسَ الشَّريف يمتدُّ ليشملَ مساحاتِ الموضوعات المنتقاة، والاختيار الأصلح، والابتعاد عن التقليد، والتزييف والتزوير. والمنافسةُ الشريفةُ تعني: ألا يبيعَ الناشرُ على بيع زميلٍ له، ولا أن يُسفِّه أعمالَ غيره، ويُمجِّد نفسه وإصداراته.

كما تعني المنافسةُ الشريفةُ: عدم اللجوء إلى الأساليب الملتوية؛ للحصول على اعتماد شراء الكتب من قِبل الجهات الرسمية.

والكتابُ شكلٌ وموضوعٌ، والشكلُ فيه لا يقلُّ اليوم أهمية عن الموضوع. وإذا كان الكتابُ رسالةً فقد أصبح صناعةً تحمل هذه الرسالة. إنه لا يؤدي رسالته إلا حين تمرُّ عينُ القارئ على سطوره. فعلى الناشر النَّاجح أن ينتجَهُ بشكلٍ مشوق، يجذبُ إليه أكبر عددٍ من القراء[1].

كما ينبغي على النَّاشر ألا يتلاعبَ بسعر الكتاب، فيبيع بالكلفة، أو بربحٍ بَخْس؛ ليسيء لكتاب ناشرٍ آخر.

وهنا تكمنُ روحُ المنافسةِ الشَّريفة؛ في ألا يقلّد الناشرُ ناشراً آخر في عنوان كتاب، أو موضوع لاقى رواجاً، ولا يُحاول أن يبخس أعمال زملائه الناشرين.

---

(١) كلمات إلى العقل، د. السيد أبو النجا، (ص ٣١).

كما تظهر المنافسة الشريفة في مراعاة السعر، وحُسْن التعامل.

٤ ــ التَّواضع

الناشر الناجح متواضعٌ محبوبٌ، يُقبِل عليه النَّاسُ، ويحتفون به، ويتعاملون معه بأريحية وعفوية.

ويتواصلُ الناشرُ مع المجتمع والناس، ويستقبلهم بوجهٍ طَلْق بشوشٍ، ويُنزِّه نفسه عن التَّعالي والكبر مهما عَلَتْ مرتبتُه، ومهما حقَّق من نجاح، فالشجرةُ كلما كَثُرَ ثمرُها انحنتْ أغصانُها أكثر.

وهو متواضعٌ مع زملائه النَّاشرين، ومتواضعٌ مع المؤلِّفين، والمحقِّقين، والمصحِّحين، وعمال الطباعة، والحمَّالين... وغيرهم.

يحبه الجميع، ويشعرون أنه أخٌ لهم، يجلس بجانبهم، ولكن مع أخذ المواعيد والالتزام بها، فهذه آداب على الجميع مراعاتُها.

ولا بُدَّ من التذكير بأن التواضع يظهر في التواصل مع موظّفي الدار الناشرة، واستشارتهم، والاستماع إلى آرائهم، وشكواهم.

٥ ــ الوفاء بالعهد

من أهمِّ الضَّوابط في مهنة النشر: إبرامُ العقود مع المؤلِّفين،

والنَّاشرين (عرباً وأجانب)، ومع المطابع، ومراكز الفرز والإخراج، ومع ورشات ومصانع التجليد، وبالتالي فإن الالتزام بالعقود من متطلبات قواعد النشر، والأسس الأخلاقية والقيم النبيلة التي يتمتع بها الناشر.

والوفاءُ بالعهد معيارُ المعايير، وضابطُ الضَّوابط الأخلاقية، **والنَّاشر الناجح** وَفيٌّ بالعهد، يحترمُ نفسه، ويحترم الآخرين، ويصون سُمْعته، ويحفظ علاقاته على أفضل حال.

وإذا أبرم النَّاشرُ عَقْداً فهو يحترمه، وإذا أعطى عهداً فهو يلتزمه. وهو يعلمُ أنَّ من الإيمان أن يكون المرءُ عند كلمته التي قالها، ينتهي إليها كما ينتهي الماءُ عند شُطآنه، فَيُعرَف بين الناس بأن كلمته مَوْثِقٌ غليظ، لا خوفَ من نقضها، ولا مطمع في اصطيادها[1].

ولا شكَّ أنَّ انتشارَ الثقة في ميدان التجارة، وفي شتى المعاملات الاقتصادية؛ أساسُه افتراض الوفاء في أيِّ تعهُّد. قال ﷻ: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ﴾ [الإسراء: ٣٤].

والناشر الناجح ملتزم بما تعاقد عليه، **فالوفاءُ بالعهود والعقود يرفعُ قدرَ الإنسان**، ويُعْلي من مكانته، ويُنْظر إليه بعين

(١) خلق المسلم، لمحمد الغزالي، (ص ٥٦).

الإكبار. فهو لا يفسخ عقداً أبرمه إلا بعد الاتفاق مع الفريق الآخر.

ويجدرُ أن نذكر أنَّ العقود ربما لا تكونُ أوراقاً تُكتب وتُذيَّل بتوقيع؛ إذْ رُبَّما تكون العقودُ شفهية غير مكتوبة، فالكلمةُ عَقْد، ولو لم يكن هناك شهود، فكفى بالله شهيداً. وإنْ كانت العقودُ المكتوبة والموقعة هي الأصل، والأسلم.

وهناك من ينشر الكتاب على شكل أجزاء، فيشتريه الناس، ثم لا يكمل إصدار الكتاب، وبالتالي يصبح ما اشتراه القارئ غير ذي قيمة.

٦ ــ عدم الحقد

الناشر الناجح طيِّبُ النفس، سليمُ الصدر من الأحقاد، فالحياةُ ملأى بالهموم والمنغِّصات، وليس شيء يريحُ الإنسان، ويجعل صدره منشرحاً، وقلبه مطمئناً مثل أن يحيا مُبرَّأً من ثورة الحقد، وبالتالي يحيا راضياً عن نفسه، مُتقبِّلاً للآخرين كما هُمْ، بكل ما فيهم من عُجَر و بُجَر.

وهذا ما أشار إليه الإمامُ الشَّافعي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ بقوله:

لـمَّـا عـفـوتُ ولـم أحـقـدْ عـلـى أَحَـدٍ
أرَحْـتُ نَـفْـسِـيَ مـن غَـمِّ الـعـداواتِ[١]

وقد يحزن النَّاشرُ لسوء علاقةٍ مع هذا وذاك، أو لإساءةٍ شَعَر بها، أو ردَّة فِعْل غاضبة من بعض الزُّملاء النَّاشرين... فعليه أن يسعى للتخلص مما شعر به بالحكمة، والعتاب الرفيق، والكلمة الطَّيِّبة.

وأعرفُ أكثر من ناشر معرفةً حقيقية، يستر عيوبَ مَنْ أساء إليه، ولا يُشنِّعُ عليه، بل يتمسَّك بحبال الخُلُق الرَّفيع، فلا يسردُ الإساءة، ولا يكشفُ المستور، بل يكتفي بنظرة عِتاب، أو كلمة تنبيه، أو حركةِ اعتراض... فإذا بالطَّرف الآخر يشعرُ بفداحةِ ما أقدم عليه، وما صَدَر عنه، فيبادر إلى الإصلاح، وإذا بموقف النَّاشرِ يتحوَّلُ إلى فَضْل ومِنَّةٍ في عُنُق ذاك المتعثِّر.

وهذا واللهِ قمةُ الأخلاق. ألم يَقُلْ رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ سَتَرَ على مؤمنٍ عَوْرةً فكأنَّما أحيا موءودة**»[٢]؟!

إنَّ الحقدَ نارٌ مُسْتعرة، تلتهمُ الأخضر واليابس، ولا تُميِّز بين الحق والباطل، والخير والشر، ثم تأكل نفسها.

---

(١) ديوان الشافعي، (ص ٤٢).
(٢) رواه الطبراني كما في مجمع الزوائد، للهيثمي، (١/ ١٣٤).

وكيف يستقيمُ أن يكون روَّادُ النهضة، ودُعاة الإصلاح؛ مُتنابذين، مُتناحرين، تملأُ قلوبَهم الأحقادُ والضَّغائن؟!

٧ ــ الصِّدق

من المعايير الأساسية التي يتحلى بها **الناشر الناجح**: خُلُق الصدق، فيكون صادقاً في قوله وفعله، فلا يقول إلا حقاً، ولا يعملُ إلا صدقاً.

فيكون صادقاً مع كلَّ مَنْ يتعامل معهم، فيزن كلمته قبل أن ينطق بها، ويقف عند حدود المنطق والعقل والحق، فلا يُغلِّب مصلحته على مصلحة الآخرين؛ ففي ذلك إضرار بالنَّاس، وإهدار للأوقات.

والنَّاشرون صادقون، انطلاقاً من حِسِّهم الدَّاخلي، وحفاظاً على عملهم، وصَوْناً لمعاملاتهم.

قال الشاعر:

الـــصِّـــدقُ يـــعـــقـــدُ فـــوق رأ

سِ حـلـيـفـه بـالـصِّـدق تـاجـا

والـــصِّـــدقُ يـــقـــدحُ زَنْـــدَهُ

فـــي كـــلِّ نـــاحـــيـــةٍ سِـــراجـــا[١]

ولا ننسى قول رسول الله ﷺ: «**عليكم بالصِّدْق؛ فإن الصدقَ يهدي إلى البِرِّ، والبِرُّ يهدي إلى الجَنَّة، وما يزالُ الرجلُ يَصْدُقُ ويتحرَّى الصِّدْقَ حتى يُكتب عند الله صِدِّيقاً**»[٢].

٨ ــ العِفَّة

العفيفُ: هو مَنْ يُباشرُ الأمورَ على وَفْق الشَّرع، والمروءة[٣].

والنَّاشر الناجح مُتَّصف بالعِفَّة، فلا تنزعُ نَفسُه إلى المادية الجشعة.

وللإنسان مَطَالِب، أجمع العقلاء على أنَّ في انتقاصها ضَرَراً به، وبالمقابل فإنَّ حياةَ التَّرف ينتجُ عنها سيئات كثيرة.

إنَّ النَّاشِرَ الذي يُناصر المعايير الأخلاقية، ويتشبَّث بأذيال الضَّوابط السُّلوكية، هو رجلٌ يتميزُ بهمةٍ عالية، وصيانةٍ حقيقية

(١) مجمع الحكم والأمثال، لأحمد قبش، (ص ٢٦٩).
(٢) رواه البخاري، (٦٠٩٤) ومسلم، (٢٦٠٧).
(٣) التعريفات، للجرجاني، (ص ١٩٥).

لنفسه، فيستكمل مروءته، ولا ينسى في ازدحام الواجبات أن يرتديَ ثوبَ العفاف، ويلقى به النَّاسَ بصدق وعمق.

إنَّ التَّعفُّفَ مكسبٌ عظيم، وحيازةٌ لمعالم الأصالة، وضبطٌ للنفس، وامتلاكٌ لدائرة الحلال، ولُبّ الفضيلة.

فالتعفف يجعل الناشر الناجح ينظر إلى الكتاب ويُقيّمه من حيث قيمة مضافة، لا من حيث هو سلعة تحقق ربحاً وكفى.

وكما أنَّ طاقةَ الزهور فيها من كلِّ بُستانٍ زهرة؛ فإنَّ الناشرَ الناجح يتزيَّن من كل علم بخبرٍ.

٩ ــ العلم

إن النَّاشرَ المطَّلع على العلوم المختلفة هو **ناشرٌ ناجح**، متميز، فالعلمُ للإنسان كالحياة له، ولن تجد صنعة النشر مستقراً لها إلا لدى أصحاب المعارف والألباب.

والعلمُ المطلوبُ ليس علماً مُعيَّناً محددَ البداية والنهاية، فكلُّ ما يوسع آفاقَ النظر، ويزيحُ السُّدودَ أمام العقل النَّهِم إلى المزيد من المعرفة، وكلّ ما يُوثِّق صلةَ الإنسان بالوجود، ويفتح له آماداً أبعد من الكشف والإدراك... ذلك كله ينبغي التطلع له، والتَّضلُّع فيه، والناشر الناجح يأخذ منه بسهم وافر[1].

(١) خلق المسلم، لمحمد الغزالي، (ص٢٣٠).

كما أنَّ الناشر الناجح يرتبطُ بعلاقاتٍ وثيقة مع المؤلِّفين، والمحقِّقين، والزُّملاء الآخرين، والقُرَّاء. . **.فهو ينالُ حظّاً وافراً من علومهم المتنوعة، ومعارفهم الواسعة.**

وهو يحقق بذلك موقعه كناشر، ويكون قادراً على التمييز بين مضمون الكتاب الجيد وغير الجيد، ويسمو إلى مرتبة النِّقاش العلمي؛ من خلال الثقافة التي تجعل خطواته ثابتة، وتحركاته ناجحة.

١٠ ــ الحلم

يتمتع **الناشر الناجح** بقدرٍ كافٍ من الحلم، والقدرة على كَظْم الغيظ، وضبط النفس؛ في لحظاتٍ تستدعي الغضب، وثورة التَّشفِّي.

ويحتاجُ الناشرُ كثيراً لهذه الفضيلة في تعامله، فكم من مُؤلِّفٍ أو مُحقِّقٍ تأخَّر في تسليم المخطوط، أو سَلَّم تجاربَ الطبع مليئة بالأخطاء!!

وكم من مُصمِّم، أو مركز تنفيذٍ طباعي تأخَّر على النَّاشر في إنجاز ما أُوكِلَ إليه، بينما الشاعرُ ملتزمٌ بالتَّسليم في وقتٍ مُحدَّد!!

وكم هو شجاعٌ وقويٌّ ذلك الناشر؛ الذي يرى ما يغضبه،

ويستطيع أن يردَّ الصَّاعَ صاعين بل أكثر، لكنه يلوذُ بالحلم، ويستعصمُ بالخُلُق الحميد، فيضبط نفسه، ويكظم غيظه، ويحتسب أجره عند ربِّ العباد.

هذا هو النَّاشرُ الناجح؛ الذي يُلْزِم نَفْسَه بالمعايير الأخلاقية، والصِّفات النَّبيلة، حتى تصبح لديه عادة في حياته، وتصرُّفاته، وسُلوكه.

ويستمر النَّاشرُ حليماً، ذا أخلاق فاضلة، فيشعر بالسَّعادة، وينعم بظلالها، وتلك غايةٌ ذَكَرها الغزاليُّ فقال: «وغاية هذا الخُلُق أن يصيرَ الفعلُ الصَّادرُ منه لذيذاً، فالسَّخيُّ يستلذُّ بذْلَ المال الذي يبذله، دون الذي يبذله عن كراهة. والمتواضع يستلذُّ التَّواضع... وهكذا»[1].

وأذكر هنا أن العلاقاتِ الاجتماعيةَ تستدعي تجسيدَ الحلم في الفعل والحال؛ للحفاظ على هدوء النفس، وتجاوز أخطاء الآخرين، والتماس المبرِّرات للأغلاط. وملاكُ الأمر هو القدرة على تَمثُّل الحلم، وجَعْله صفةً نفسيةً، ومسلكاً نبيلاً.

١١ ــ البعد عن الحسد

النَّاشرُ الناجح لا يحسدُ زميلَه الناشر على فَلاحه، ونجاحه،

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي، (٣/ ٥٠).

واتساع رقعة عمله، بل يغبطه أنْ أجرى الله له الخير، وسدَّد خطاه، ووفَّقه، وجَعَله متفوقاً في أمور الحياة، وسوق الصَّنْعة السَّامية.

والحسدُ صفةٌ ذميمةٌ، ينتجُ عنها سلوكٌ ذميم، وأوَّل ما يفعلُه أن يلوكَ من يحسده بلسانه، ثم إنِ استطاع امتدَّتْ يدُه لتزوِّر كُتُبَ من يحسده.

إنَّ حُبَّ الخير للناس، واجتناب الحسد؛ خُلُق فاضل، وصفة مثلى، وسلوك يُرشّح صاحبه ليكونَ من ذوي المعايير الأخلاقية، والصِّفات النَّبيلة.

١٢ ــ الصَّبْر

أشرتُ قبلَ قليلٍ إلى صِفة الحلم؛ التي بينها وبين الصَّبر تداخلٌ، حتى تكاد تلتبس كلٌّ منهما بالأخرى، وتدلّ عليها.

والحقُّ أنَّ الحلم والصبر متقاربان كما ذكر القاضي عِياض؛ ولهذا صلح أحدُهما ليدلَّ على الآخر[١].

لكنهما مع هذا الالتباس يختلفان؛ فالحلمُ: كَفُّ النَّفْس عن الثأر، أو عدم مقابلة الأذى بمثله. أما الصَّبر فهو: احتمال المكروه، كحدوث كارثة، أو ضياع مال.

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، (١/ ٨٠).

والحلمُ منوطٌ بالقدرة على العقوبة أو الانتقام، على حين أنَّ الصَّبْرَ موصولٌ بما لا طاقة به للإنسان[١].

والناشر الناجح هو الذي يحمد ربَّه إن أُصيبَ بمكروه ـ لا سَمَحَ الله ـ، فهو يتمالك، ويتجالد، ويتصبَّر أمام الشَّدائد والزَّعازع.

ونوائبُ الحياةِ كثيرةٌ، فقد يتعرَّضُ النَّاشرُ لما لا يتوقع، فإنْ صبر نال الأجر والرضا، وحَرِيٌّ به أن يصبر، لأنَّ الصَّبْر من شِيَم المؤمن وصفات الرِّجال.

وكم من ناشر امْتُحِن بأزمةٍ، فصبر، فخرج منها سالماً مُعافى!

وقد قيلَ في مهنة النشر، وصفات الناشر: لا بُدَّ أن يتوافر له ثلاثة أشياء: عمر نوح، ومال قارون، وصَبْر أيوب!!

وكم من ناشر نزلتْ به بلوى، فصبر، فأضاءت نَفْسُه بنورِ الحقِّ، وشُعاع اليقين!.

إنَّ الصبر من مفردات الأخلاق الفُضْلى، والمُثُل العليا، وهو محورٌ مركزيٌّ ثابتٌ تدور حوله فضائل كثيرة، كما تدور الأرضُ حول أُمِّها الشمس.

---

(١) من أخلاق النبي ﷺ، د. أحمد الحوفي، (ص ١٧٢).

١٣ ــ الحياء

لا نعجب إنِ اتَّصفَ **النَّاشر الناجح** بالحياء، فالحياءُ وثيقُ الصِّلة بالمعايير الأخلاقية الأخرى، كالعفة، والصَّبر، والحلم، ونحو ذلك.

فبورك ذلك الناشر الذي يشعر برقابة الله عليه، وعِظَم حَقِّه. فهو مهذَّبُ الكلمة، يصفح عن زلَّات الآخرين، طيِّب العشرة، رؤوف رحيم بعمَّاله، وقُرَّائه، فيبذلُ كلَّ جهده ووقته لإخراج كتابٍ مفيد بأبهى صورة، وأصدق مضمون.

إنَّ حياء النَّاشر يكشفُ عن تمسُّكه بالفضيلة، ونُبْل السِّيرة، وعُمْق الشعور بالواجب، والنفور من أكلِ المالِ الحرام.

وللحياء مواضع يُستحبُّ فيها:

فالناشرُ الناجح يُطهِّرُ فمه من الفحش، ويُنزِّه لسانَه عن العيب، ويخجلُ من ذكر الكلمات البذيئة.

وهو كذلك لا يحتكر الحديثَ في المجالس والمحافل، بل يتركُ لغيره الوقت ليتحدَّث، ويُعبِّر عن رأيه.

والناشر الناجح أيضاً يخجلُ أن يُؤْثَرَ عنه سُوء، ويحرصَ على بقاء سُمْعته نقيةً من الشوائب، بعيدةً عن الإشاعات السيئة.

لا يطلبُ من عمله السُّمعة، بل يتَّقي النِّفاقَ والرِّياء، ويبتعدَ عن الدَّنايا ما ظهر منها وما بطن.

إن الحياءَ ملاكُ الخير، وعنصرُ النُّبْل في كُلِّ عمل، فلو تَجسَّم الحياءُ لكان رمز الصَّلاح والإصلاح[1].

ثم إن الناشر الحييّ يعرفُ لأصحاب الحقوق حقهم، ولذوي المكانة مكانتهم، مع الشعور بالرقابة الذاتية، وعدم الركون إلى مُتَعِ العيش الخادعة.

وقبل هذا وذاك؛ أن يستحي من الله، فلا ينشر ما يخدشُ الحياء، وما لا يرضى أن يضعه بين يدي ابنه وابنته.

١٤ ــ التفاؤل

الناشر الناجح يكونَ متفائلاً على الدوام، فإنْ شعر بركودٍ في سُوق الكتاب، قَدَحَ زنادَ فكره ليبحثَ عن سوق جديدة، يُصرِّف فيها ما تكدَّس في المستودعات.

والحياةُ هكذا: نوازل وصواعد، حُزْن وفرح، أخذ وعطاء، ربح وخسارة... والناشرُ المتميزُ هو الذي يردِّد مع الشاعر قوله:

كُنْ بَلْسَماً إن صار دَهْرُكَ أَرْقما
وحلاوةً إنْ صارَ غيرُك عَلْقما

---

(١) خلق المسلم، للغزالي، (ص ١٧٣).

أَيْـقِـظْ شـعـورَك بـالـمـحـبـةِ إنْ غَـفـا

لولا الشُّعورُ الناسُ كانوا كالدُّمى[١]

إنَّه التفاؤل المستمرُّ مهما تجهَّمتِ الحياة، وادلهمَّتِ الخطوب، وكثرتِ النَّوازل، فالمهمُّ أن تبقى نفسيةُ النَّاشر كالزهرة الفوَّاحة، لا يصدرُ عنها إلا الأريج والطِّيْب.

والتفاؤلُ هو الذي يدفع النَّاشرَ للاستمرار بالنشر؛ على الرغم من تراجع الكتاب، وانحسار دوره، وعزوف كثيرٍ من الناس عن القراءة.

والشخصيةُ الرضيَّةُ ذاتُ قيمةٍ كبرى، **والنَّاشرُ النَّاجحُ هو الذي يمتلكُ شخصية تتجاوز الصِّعابَ باستمرار**، فإن أصابها فستتحولُ حياتُه إلى بهجةٍ وسعادة لا حدودَ لها، وسيحظى ـ بإذن الله ـ بكثيرٍ مما تقدِّمه الدنيا لأبنائها من مغانم[٢].

١٥ ـــ الجود

لمَّا كان **النَّاشرُ الناجح** يتمتَّعُ بالضَّوابط الأخلاقية، ويحيا حياةَ الكلمة الفاضلة؛ فطبيعيٌّ أن يكون سخياً، جَواداً، فلا يبخلُ

(١) إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر، لزهير ميرزا، (ص ٦٧٧).
(٢) شخصيتك كيف تقويها، ج.م. غراهام، (ص ٤٨).

بماله لإخراج الكتاب على الوجه الأكمل، وصُنْع دعايةٍ له تليقُ به.

هذا، ويرتبط رواجُ الكتاب بما يُقدِّمه النَّاشِرُ للمؤلف من نُسَخِ الهدايا، وكذا مثلها للأدباء، والمؤلِّفين، والمفكِّرين، وأساتذة الجامعات، والمعاهد.

وبما أنَّ السَّخاءَ يقومُ على الرحمة، وقلةِ الحرص على جمع المال، كان متصلاً بفضائل أخرى، فالسَّخيُّ ـ في أغلب أحواله ـ يأخذُ بالعفو، ويتحلَّى بالحلم، ويُجْرِي معاملاته على الإنصاف، **فيؤدي حقوقَ الناس من تلقاء نفسه**، وإذا قضى بينهم كان عادلاً. وهو أقربُ الناس إلى الشجاعة الأدبية، وعِزَّة النفس[1].

والعطاء والسخاء ممدوح، محمود. قال مُبَشِّر بن هُذَيْل:

ولـم أَرَ كـالـمـعـروفِ أمَّـا مَـذَاقُـهُ

فَـحُـلْـوٌ وأمَّـا وَجْـهُـهُ فـجـمـيـلُ[2]

وأهـمُّ نتيجة للجود أنه ذو أثرٍ كبير في ائتلاف القلوب، وتأكيد رابطة الإخاء، وبَذْر محبة الناشر في قلوب مَنْ حوله،

(١) الهداية الإسلامية، محمد الخضر حسين، (ص٨٥).
(٢) ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري، (١/ ٩٠).

كضيافةٍ، أو هديَّةٍ، مما يُذْهِب الجفوةَ، ويجعلُ القلبَ من القلب قريباً.

١٦ ــ الالتزام بالعقود

يكون بين النَّاشر والمؤلف عَقْدٌ يتضمَّن التنازلَ عن حقوق كتابٍ ما، أو حق طبعة واحدة، ونحو ذلك من العقودِ القائمةِ المعمولِ بها، ويكون حُكْمُ العَقْدِ ملكيةَ المبيع للمشتري، أي: النَّاشر، وملكية الثمن للبائع، أي: المؤلف أو المحقق[١].

وعقدُ النَّشْر يُعَدُّ من العقود الرّضائية، وله شروطٌ شكلية، وأخرى موضوعية[٢].

أما الشُّروطُ الشكليةُ لانعقاد عَقْد النشر، فأمران:

الأمر الأول: تحرير العقد كتابة.

الأمر الثاني: تحديد البيانات الإلزامية للطرفين؛ لرفع اللّبس والغموض عند تنفيذ بُنُود عقد النشر؛ التي تُحدِّد ماهية العقد، وتخصيصه من حيث الزمان والمكان لتنفيذه؛ حتى يقوم النَّاشرُ بأداء مهمة النشر والإعلان بشكل واضح، وإيصال الكتاب إلى الجمهور؛ متوافقاً مع البيانات المحدَّدة في العقد.

---

(١) الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي، (٤/ ٣٩٩).

(٢) الملكية الفكرية، د. زكريا عطري، (ص ٩٢).

وأما الشُّروطُ الموضوعيةُ لانعقاد عَقْدِ النشر، فأمران كذلك:

أ ـ المؤلف صاحب الإنتاج الفكري؛ هو الوحيدُ الذي يستطيعُ أن يعرفَ متى يكون إنتاجُه جاهزاً في متناول يد النَّاشر.

ب ـ ما يسري على المؤلف يسري على ورثته لإبرام عقد النَّشْر، وتقرير نَشْر المصنَّف، واختيار طريقة هذا النشر.

ولتحديد الشروط الموضوعية للنَّشْر يتطلَّب وجود:

١ ـ الرِّضا من المؤلِّف، أو ورثته في حال وفاته.

٢ ـ الأهلية، أي: أهلية إجراء العَقْد.

ويلتزم الناشرُ بتنفيذ شروط العقد وبنوده؛ انطلاقاً من مبدأ: إحقاق الحق، وانطلاقاً من المعايير الأخلاقية والضوابط السلوكية التي يتمتع بها. وفي ذلك ضمانٌ لأطراف العقد؛ الذين لهم علاقةٌ بما تمَّ الاتفاقُ عليه.

١٧ ــ الإنصاف

حين يُقدِّم المؤلِّفُ أو المحققُ مصنَّفه إلى الناشر، ويتفقان على نشره، فإنهما يبحثان في الأمور المالية المستحقة لمن قام بالتأليف أو التحقيق، ويتحدَّد ذلك وَفْق العمل، وهل الكتاب يُعاد تحقيقه، أم يُحقَّق للمرة الأولى؟ وهل قام المنهجُ على مخطوط موثوق، أو نُسَخ مطبوعة قديمة؟ وهل الكتابُ المؤلَّفُ

يرتكز على فكرةٍ بِكْر، وتُقدَّم بأسلوبٍ جَذَّاب؟! فكلُّ ذلك له نصيبٌ في تحديد المكافآت المالية الي ينالها المؤلف أو المحقق.

كما يخضع تحديدُ الأجور إلى السُّوق الراكدة، أو المنطلقة بحيوية ونشاط، وهل موضوعُ الكتاب يهمُّ عامة الناس أم فئة مخصوصة؟! وهل الكتابُ مُقَرَّر على الطلاب، أم يتحمَّل الناشرُ مغامرةَ نَشْره؟!

كذلك تُقدَّر الناحيةُ الماديةَ طبقاً لشهرة المؤلف، ومعرفة جمهور القُراء به، مما يؤثِّر على بيع الكتاب وتسويقه، وهل أنَّ المؤلفَ أو المحققَ يكون عملهُ الجاهز هو الكتاب الأول الذي يُقدِّمه، أم لا؟

والنَّاشرُ الناجح يُقدِّر للمؤلفين أو المحقِّقين جهدهم، فَيُعْطيهم حقوقهم كاملة غير منقوصة، بل قد يزيدهم في حال طارتْ شهرةُ الكتاب بين الناس، ولاقى رواجاً لديهم.

إن الصِّفات النَّبيلة التي يتمتَّع بها النَّاشر، هي التي تجعله قابلاً للحق، محباً له، معطياً إياه للآخرين، محافِظاً على مكانته، وميزاته المعروف بها بين أهل صنعته.

فإن اتفق النَّاشرُ على أَجْر مُحدَّد فإنه يلتزم به، ويعطيه إلى

الطَّرف الآخر عن طِيْب نفس، وأريحية أخلاقية، مع الشكر والتقدير. وبالمقابل يمنحه المؤلفُ كلَّ جهدٍ ممكن في الكتابة، والتَّصحيح، والمراجعة.

ويكون الأمرُ في النِّهاية لصالح الكتاب والقارئ على حدٍّ سواء.

١٨ ــ القناعة بالربح المعقول

قبل كلِّ شيء **ليست الغايةُ من نَشْر الكتاب: الربح**، فالربح يأتي ثانياً، أما مَنْ يعكسُ المعادلة فإنه يفسدُ صنعة النشر، وعليه التنقيبُ عن صنعة أخرى يكونُ الربحُ فيها أولاً.

ومن المعلوم أن النَّاشرَ يدفعُ تكاليفَ باهظة في مقابل أن يخرج الكتابُ بأفضل صورة، مستفيداً من كلِّ التقنيات الحديثة في عالم الطباعة، وكلُّ ذلك يحتاجُ إلى المال.

وعند وَضْع السِّعر يقومُ النَّاشرُ بإعداد دراسة خاصة، فيجمعُ الكشوفَ والفواتيرَ المتعلقة بالكتاب، ويضعُ لنفسه هامشاً من الربح لقاء أتعاب إشرافه، وتوزيعه، وتثمير المال في صنعة النشر. كما يأخذُ في الحُسْبان أن يتركَ هامشاً مناسباً من الربح لشركة التوزيع، وصاحب المكتبة.

وهذا حقٌّ له ضمنه الشَّرع، وحَفِظَهُ القانون.

واستناداً إلى المعايير الأخلاقية؛ يكون التزامُ النَّاشر بالرِّبح المعقول، فهو عندما يُقدِّمُ كتاباً إلى القُراء في بلدٍ ما، فعليه أن يدرسَ القدرة الشرائية؛ لئلا يضعف مستوى توزيع الكتاب، أو يطول زمنُ بيعِ نُسَخِه.

وفي حال تعذُّر تخفيض كُلْفة الطباعة؛ يمكن للناشر أن يطبع بعض الكتب ـ التي تهمُّ شريحةً واسعةً من القُرَّاء، والذين تحولُ قلّة ذات يدهم دون اقتنائها ـ في البلاد التي تنخفض فيها أجورُ اليد العاملة، وكذا الضَّرائب المفروضة على الطباعة بكل تفاصيلها، وبذلك تنخفض تكاليف الطباعة، وينخفض سعرُ الكتاب؛ دون أنْ يُؤثِّر ذلك على مضمون الكتاب وشكله. وقد كانت هذه تجربة رائدة عندما طُبعت الكتب البريطانية في الهند، وتايلاند، وجنوب إفريقية.

والأمرُ يرتبط بالعدل والرحمة، وهما معيارُ تقدُّم النَّاشر، ومقياسٌ لنهضة داره، ودلالةٌ على تمثُّله للضَّوابط السُّلوكية.

ويتعلَّقُ الالتزامُ بالربح المعقول بإيمان النَّاشر، ويقينه بأنه صاحب رسالةٍ فكرية، وأن جمهوره من طلاب العلم، وهؤلاء من ذوي الدَّخْل المحدود، فالقناعةُ كنزٌ لا يفنى، وما قلَّ ودام خيرٌ مما كَثُر وانقطع.

قال أبو العتاهية[١]:

ما يُشْبِعُ النَّفْسَ إنْ لَمْ تُمْسِ قانِعةً
شيءٌ ولو كَثُرَتْ في مُلْكِها البِدَرُ

والبِدَر: جمع البَدْرَة، وهي كيسٌ من المال كانوا يتعاملون به، أو يُقدِّمونه في العطايا[٢].

١٩ ــ النُّصْح

النَّاشر الناجح ذو المعدِنِ الأصيل، والخُلُق الرَّفيع، يُحَسِّن إنتاجَهُ باستمرار، ويلتزم بالمعايير الأخلاقية، ويحافظ على دوره الفاعل، فينصح الناس في بضاعته شكلاً ومضموناً، فالأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر نصيحة، وتقديم المعلومات الصحيحة الموثّقة نصيحة، وكما أنَّ عَمَلَهُ يعودُ على الناس بالخير؛ فإنه يعودُ عليه بالنَّفع، فيزداد عليه الإقبال، ويكتسب سُمعةً حَسَنةً، وهي مكسبٌ عظيمٌ في حدِّ ذاتها.

لذلك **يلتزمُ النَّاشرُ بأداء النَّصيحة لقرائه، والتجار الذين يتعاملُ معهم**، فيقدِّم لهم كتاباً بأفضل المواصفات؛ ورقاً، وطباعة، وتجليداً، وخطوطاً، وألواناً، وتصميماً، ونحو ذلك.

---

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، (ص ١٥٤).
(٢) المعجم المدرسي، لمحمد خير أبو حرب، (ص ٩١).

ومن فَعَل ذلك فاز في دنياه وأُخْراه، ففي الدُّنيا يُحقِّقُ مجداً، ويصنعُ مسيرةً مهنيةً تسيرُ بحديثها الرُّكْبان، ويُدَرُّ عليه الرِّزْقُ من حيث لا يحتسب، ويحبّه القراء، وينتظرون ما يصدرُ عن دار نشره بفارغ الصَّبر.

وفي الآخرة ينالُ الثوابَ العظيمَ ـ بفضل الله ـ لأنه أتقنَ عمله، وأجادَ فيه، وقدَّم النَّصيحةَ للناس، وتحلَّى بالصَّبْر في كُلِّ كتابٍ يطبعه.

وللنصيحة مقامٌ عَلِيٌّ، فهي من أشرفِ المقامات، وأرفعها مكانةً، ويُجْعَل مَنْ يقومُ بها من الكبار، وأصحاب النُّفوس الكبيرة[1].

٢٠ ــ طلاقة الوجه

النَّاشر الناجح يتميَّزَ بطلاقةِ الوجه عند اللقاء؛ لإيجاد المودَّة والمحبة بينه وبين الآخرين، قال اللهُ تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

والوجهُ الطَّلْق: هو المنبسطُ الباشُّ، المتهلِّلُ بالبِشْر، والترحيب، والسُّرور.

والابتسامةُ هي السَّهْمُ الذي لا يُخْطئ، وهي من أعظم

(١) أخلاق الكبار، لمحمد عبده، (ص ٢٣).

مفاتيح القلوب، وسفيرُ المحبة، ونَشْر الطمأنينة في نفوس المتعاملين مع الناشر. كما أنها طريقُ رجل العلاقات المحنّك؛ الذي يريدُ النَّجاحَ في مهمته، ووسيلةُ الإداري الذكي؛ الذي يريدُ أن يقودَ عُمَّاله بنجاح. كما أن الابتسامةَ تبعثُ في النفس الأملَ، وتزيدُ من رصيد المحبة في قُلوب الناس[١].

ولا شكَّ أن **النَّاشرَ المبتسم هو الأقدرُ على استيعاب مَنْ حوله، والتأثير فيهم**، والتغيير في سلوكهم. وهذا السُّلوكُ هو القوةُ الحقيقيةُ التي يتحلَّى بها الناشر؛ إذ تُمكِّنه من الوصول إلى قلوب محدِّثيه، واستيعابهم.

والنفوسُ بطبيعتها تنفرُ من الوجه العابس، وتلتفُّ حول صاحب الوجه المبتسم، قال رسولُ الله ﷺ: «**إنكم لن تَسَعُوا الناسَ بأموالكم، ولكنْ يَسَعُهم منكم: بَسْطُ الوجه، وحُسْنُ الخُلُق**»[٢].

ويستطيعُ الناشرُ النَّاجحُ عن طريق طلاقة الوجه أن يسيرَ على خُطى الحبيب ﷺ، وأن يجعلَ الآخرين يُقْبِلُون عليه، ويتغلَّب

(١) أخلاق الكبار، لمحمد عبده، (ص ١٣٥).

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، (٨/ ٢٢)، وعزاه لأبي يعلى، (٦٥٥٠).

على اللحظات الصَّعْبة، ويدير الحوارات بابتسامةٍ رقيقة، ويحتوي أخطاءَ مَنْ حوله، ويستوعبهم.